الفصل الأول

المراكز التعليمية في مدينتي حلب و القاهرة قبيل العصر الأيوبي

حلب: الموقع والتسمية

الموقع:

تقع مدينة حلب في أقصى الشمال الغربي من الهضبة الواقعة في سورية الشمالية عند خط الطول 68.5- 38 شرقاً و خط العرض 12 – 40 شمالاً. ترتفع عن سطح البحر حوالي 370م ، وقد قامت في الأصل على ضفة نهر قويق[1] اليسرى. هي ذات موقع إستراتيجي هام من الناحيتين العسكرية والاقتصادية ، تحكمت بطريق التجارة العالمي الذي يعرف باسم " الممر السوري العظيم " منذ فجر التاريخ، فهي إذن حلقة اتصال بين سورية وبلاد ما بين النهرين وفارس من جهة ، والأناضول وموانئ البحر المتوسط من جهة أخرى[2].

هي من أمهات مدن برّ الشام وإحدى المدن الأصلية في أواسط آسيا، وهي ذات هضاب وتقوم قلعة حلب على جبل أو مرتفع يتوسط المدينة، وكان هذا الجبل أو الهضبة هي أول ما سكنت، وأخذت حلب تسميتها من هذا المرتفع [3] .

كانت تقع في الإقليم الرابع، وهو أفضل الأقاليم السبعة، وأصحها هواء وأعذبها ماء وأحسنها أهلاً .[4] فمناخها يتميز بالاعتدال. وأما عن مصادر مياهها فتتمثل في وجود عدد

1- نهر قويق، يقع في مدينة حلب واسمه مشتق من قاق اسم الطائر المعروف ، وهذا النهر يختص بظاهرة النضوب صيفا، والفيض شتاءا وقد جف الآن.

(ابن الشحنة، الدر المنتخب في تاريخ حلب، دار الكتاب العربي بدمشق 1984م، ص138)

2- شوقي شعث، قلعة حلب تاريخها و معالمها الأثرية، ط1 ، دار القلم العربي ، حلب 1996م، ص21؛

- Baedeker (k), Palestime et Syrie, Leipzig, 1912 , p370 .

3- الغزي ، نهر الذهب في تاريخ حلب، تح شوقي شعث ، محمود فاخوري، ط2، دار القلم العربي، حلب 1999م، ج1، ص30 .

4- ابن شداد عز الدين، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، تح يحيى عبادة، ج2، وزارة الثقافة، دمشق 2006م ، ج1، ص35.

كبير من الآبار، كذلك من خلال نهر قو يق،الذي يعد من أهم أنهارها رياً و صيداً،[1] والذي ساهم في ريّ أشجار الفستق الموجودة فيها بكثافة وساعد على وجود الحدائق التي تغطي أرضها ، وقد أُحيطت حلب بسور يتخلله سبعة أبواب هي: باب الأربعين من الشرق ، باب اليهود (باب النصر) من بحريها ، باب الجنان من غربيها،و سمي كذلك لأنه يؤدي إلى بساتين حلب ، و باب إنطاكية من غربيها أيضاً، وباب قنسرين من جهة قنسرين، و باب العراق من الشرق ، وباب السر من القبلة.[2] وتعتبر قلعة حلب من أهم السمات المميزة لها، فقد لعبت دوراً هاماً في توجيه دفة الأحداث ، فهي الحصن الحصين لحلب،إذ إنّ حلب كلها مبنية على وهدة منخفضة يتوسطها جبل عال بنيت القلعة على رأسه.

التسمية:

يقال إن حلب تم بناؤها على يد سلوقس نيكاتور، وهو الذي حكم سورية بعد الاسكندر في عام 301 ق.م [3]. ولكن النسابة العرب يرون أن اسم حلب يعود إلى قبل هذا العصر، فذكرت المصادر العربية[4] أنها كانت ربوة يأوي إليها ابراهيم الخليل عليه السلام _ مكان القلعة _ بغنيمات له فيحلبها هنالك ويتصدق بلبنها، فلذلك سميت حلب، وأن اسم حلب كان لقباً لقلعتها التي كان يأوي إليها ابراهيم عليه السلام .

1- Baedeker (k) , opcit , p . 370

2- الحموي ، معجم البلدان ، دار صادر، بيروت 1984م، ج2، ص282؛ القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تح فوزي أمين ،دار الذخائر، القاهرة 2005، ج4، ص118؛ ابن العديم ، بغية الطلب في تاريخ حلب ، تح سهيل زكار ، 11ج ، دمشق 1988م ، ص22.

3- Sauvaget ،Alep, Paris, 1994, p.33-36.

4- ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح محمد المزيني، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د ت،ص64 ؛ ابن جبير، الرحلة ،دار صادر، بيروت د.ت، ص226 ؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج4ص116.

وكذلك سميت حلب باسم من بناها وهو: حلب بن المهر بن حيص بن عمليق من العمالقة. وكانوا إخوة ثلاثة : بردعة، حمص، حلب أولاد المهر: فكل واحد منهم بنى مدينة، و سميت باسمه وكان اسم حلب باليونانية "بارو" وقيل "بيروا" وذلك عندما خرج الاسكندر المقدوني.[1] إلى المشرق أطلقوا عليها هذا الاسم[2].

وتلقب بالشهباء والبيضاء،وذلك لبياض أرضها، لأن غالب أرضها من الحجارة الحوَارة، وترابها يضرب إلى البياض، وإذا أشرف عليها الإنسان ظهرت له بيضاء،وأنها كانت تعرف بمدينة الأحبار عند الصابئة،[3] و قيل إن بانيها أولا ملك من ملوك الموصل[4] يقال له سلوكوس الموصلي[5]،ويدل عليه ما رآه بعضهم في القنطرة التي على باب إنطاكية مكتوبا باليونانية "بنيت هذه المدينة ، بناها صاحب الموصل، والطالع العقرب والمشتري فيه، وعطارد يليه[6] " .

1- ولد عام 356ق.م وتولى عرش مقدونيا في بلاد اليونان عام 336ق.م مات عام 323ق.م غزا الشرق ووصل حتى الهند . (قارن ، الاسكندر الأكبر، ت زكي علي ، مركز كتب الشرق الأوسط ، القاهرة 1963 م ، ص21، 188)

2- ابن العديم، زبدة الحلب في تاريخ حلب، تح، سهيل زكار ، ط1، دار الكتاب العربي، دمشق 1997م ، ج1، ص35-37 ؛ ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص34.

3- الصابئة : في اللغة صبا الرجل : إذا مال وزاغ فبحكم ميل هؤلاء عن سنن الحق ، و زيغهم عن نهج الأنبياء "صبأ : خرج من دين إلى دين" وهم الذين خرجوا عن دين موسى إلى دين السامري. (الشهرستاني ، الملل والنحل، تح أبي محمد محمد بن فريد ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة د.ت ، ج2 ، ص5)

4- الموصل، تقع في الجانب الغربي من دجلة وسميت الموصل لأنها تصل بين الفرات ودجلة. (الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح، إحسان عباس، ط1، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت 1975م، ص563)

5- سلوكوس نيكاتور أي الظافر"356-280ق.م" قاد الجيش تحت إمرة الاسكندر وخلفه في الملك على البلاد الممتدة بين الفرات والهندوس. (ابن الحنبلي الحلبي، الزبد والضرب في تاريخ حلب، تح، محمد ألتونجي، ط1، منشورات مركز المخطوطات بالكويت 1988، ص16).

6- ابن شداد عز الدين، الأعلاق الخطيرة، ج2، ص53-55 ؛ ابن الحنبلي الحلبي، الزبد والضرب، ص15-17.

وذكر بعضهم أن سلوقوس جدَد عمارتها من بعده، وكان الملك الأول على سورية، وقد ملكها بعد ذلك جماعة من اليونان، إلى أن صار الملك إلى القياصرة ملوك الروم، وضربت السكة في عهد القياصرة ونقش عليها باليونانية Bepolaion نسبة إلى "بيروا" الاسم اليوناني الذي أُطلق عليها، وظل اسم "بيروا" شائعاً على حلب وأخذ اسم "بيروا" يذكر بالمعاملات الرسمية ومألوفاً لدى أرباب العلم والتاريخ وبخاصة الكتب المسيحية أما عند العامة من الشعب فكان الأسم الشائع هو حلب. وتذكر حلب في الآثار المصرية باسم "حلبو" و"خالوبو" و" حلب كو" و "حيلبون" و"حرب" وفي الآثار الحثية تذكر باسم "حلب" و"حلبا" و"حلباس" و"حالاب"، وفي الأكدية تذكر باسم "حلا بكي" وفي الآشورية تذكر باسم "خلمان" و"حلوان" وفي الآرامية تذكر باسم "حلب" [1] .

ويرى أيضاً أن أصل كلمة حلب هو "لب" باعتبار أن الألفاظ الثلاثية السامية، وهي ثنائية التركيب في أصلها الأول توجت بالحرف الحلقي ح ، واهتداءً بمعنى "اللب" في العربية يكون معنى اسم حلب "المدينة الخصبة الأرض المكتنزة التراب" [2] .

يتبين أن مدلول كلمة حلب لا يخرج عن كونه مكان للتألب و التجمع، أو مكان القلب و على هذا تكون الكلمة أما مركبة من كلمتين :

أ- حل وتعني نزول القوم بمحلة، و هو نقيض الارتحال ولها المدلول نفسه في العبرية إذا أبدلت اللام نوناً، وهو إبدال معروف في العربية وسائر اللغات السامية، في

1- عبد الفتاح قلعةجي ، حلب القديمة والحديثة ،ط1،مؤسسة الرسالة ،بيروت 1989م،ص14-21؛ عبد الباري محمد الطاهر، حلب الشهباء في رحلتي ابن جبير و ابن بطوطة دراسة مقارنة ، مجلة كلية دار العلوم، عدد14،جامعة الفيوم ،ديسمبر 2005م ، ص266-268.

2- عبد الفتاح قلعة جي ، حلب القديمة والحديثة ، ص14-21، عبد الباري محمد الطاهر، حلب الشهباء في رحلتي ابن جبير و ابن بطوطة دراسة مقارنة ، ص266-268.

البابلية لفظة قريبة من حل هي " إلى" وتعني المدينة ومثلها في الأكادية " الو" وفي اللفظتين أبدلت الحاء بالهمزة.

ب- لب وتعني التألب والتجمع والقلب، وقد وردت في العبرية و السريانية و الأكادية، وعلى هذا يكون معنى كلمة حلب مكان التجمع و التألب، أو مكان القلب و كانت حلب مكان القلب بين المدن القديمة في سورية، و كانت المركز الديني الأول وقبلة المدن الأخرى بمعبودها الشهير الإله "حدد" و المركز التجاري الأكثر أهمية.[1]جاء في القاموس المحيط : قلت القوم حلبا و حلوبا، اجتمعوا من كل وجه ،وقاموس اللغات العربية القديمة (السامية)غير منقطع عن قاموسها الجديد، وعلى هذا تكون أيضاً بمعنى التجمع فهي الواسطة بين مخاضات الفرات و البحر و بين ممرات طوروس وجنوبي سورية و طريق مصر .[2]

نستطيع القول مما سبق إن معظم الآراء التي قيلت في تسمية حلب صحيحة و أن لفظ الكلمة و تغير كتابتها راجع إلى طبيعة و قواعد كل لغة ذكرت فيها حلب، و إن الاسم الآرامي لها حلب هي الكلمة التي تستخدم حالياً كاسم لها، لأن معظم المدن السورية مازالت تحمل اسمها الآرامي و أن لقب الشهباء و البيضاء صحيح، لأن تربة حلب بيضاء "الحوَارة" ومازالت موجودة . و أن قصة ابراهيم عليه السلام صحيحة كموروث شعبي، و لكنها دلت على أن المكان المأهول لسكن المدينة كان في البداية الربوة أو مكان القلعة لتواجد الماء و الكلأ المناسبين لقيام الحياة في أي مكان، ومعنى كلمة حلب وهو القلب أو مركز التجمع تخدمه جميع الروايات التي ذكرت .

1- عبد الباري محمد الطاهر، حلب الشهباء في رحلتي ابن جبير و ابن بطوطة دراسة مقارنة ، ص266.

2- المرجع نفسه عبد الباري محمد الطاهر، حلب الشهباء في رحلتي ابن جبير و ابن بطوطة دراسة مقارنة ، ص266-268.

الحياة العلمية في مدينة حلب في العصر الزنكي:

وصل الزنكيون[1] إلى الحكم في مدينة حلب سنة 522هـ/1128م ، وذلك عندما وصل عماد الدين زنكي إليها، وخرج سكانها لاستقباله آملين بداية عهد جديد من الأمن والاستقرار بعدما سئموا من الفوضى التي سادت مدينتهم في نهاية الحكم السلجوقي والأرتقي لها[2] .

قامت في حلب في العهد الزنكي نهضة علمية، وكان من أسباب هذه النهضة العلمية الدور الذي لعبه الحكام الزنكيون ،ويمكن أن نذكر أهم العوامل التي ساعدت في الازدهار العلمي في مدينة حلب:

1- **تشجيع الزنكيين للعلم والعلماء:** أجمعت المصادر التي أرّخت لهذه الفترة على أن الروح السائدة في العهد الزنكي هي روح الثقافة وانتعاش حركة التعليم، وأن الحكام الزنكيين قد اهتموا بالعلم وعملوا على تشجيعه في سائر البلاد التي

1- تنسب هذه الدولة إلى عماد الدين زنكي الذي حكم من سنة 522هـ/1128م ، و اغتيل أمام قلعة جعبر أثناء حصاره لها في سنة 541هـ/1147م ، خلفه ابنه نور الدين محمود قام بتوحيد الجبهة الإسلامية لمواجهة الخطر الصليبي وقام بضم دمشق ومصر إلى حكمه مات سنة 569هـ/1173م، خلفه ابنه الصالح اسماعيل انتقل إلى حلب ومات فيها سنة 579هـ/1182م وبذلك انتهت الدولة الزنكية.(أبو شامة، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تح، ابراهيم الزيبق، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت 1997م، ج1، ص154؛
ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تح، جمال الدين الشيال، دار الفكر العربي، القاهرة 1953م، ج1، ص216).

2- بدأ الحكم السلجوقي لحلب حينما استولى عليها السلطان السلجوقي ملكشاه سنة 476هـ/1083م ، ولكن لم يبدأ الحكم الفعلي للسلاجقة في حلب إلا بعد وفاة السلطان ملكشاه 485هـ/1092م ، حيث سيطر السلطان تش على حلب وأعمالها واستمر الحكم السلجوقي لحلب حتى سنة 511هـ/1117م. (ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج2 ، ص175-180 ؛ سهير محمد علي ، حلب في القرن الثاني عشر الميلادي السادس الهجري، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، عين شمس ، القاهرة 1996م ، ص55-62)أما الحكم الأرتقي لحلب يبدأ سنة 511هـ/1117م ، حين سلم أهل حلب مدينتهم إلى إيلغازي بن أرتق ، ما لبث أن ترك المدينة لابنه حسام الدين تمرتاش نائبا عنه ، واستمر الحكم الأرتقي لحلب حتى سنة 521هـ/1127م. (ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، تح أبي الفداء عبد الله القاضي، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت 1995م، ، ج10 ، ص645-649 ؛ سهير محمد علي ، المرجع السابق ، ص64-73)

حكموها، كما حرصوا على إكرام العلماء وبناء دور العلم و المدارس في جميع حواضرهم، وبذلوا الأموال بسخاء على البناء والعلماء.[1]

واهتم الزنكيون بتشييد دور العلم والتعليم على اختلافها وأوقفوا الأوقاف العديدة والغنية للصرف عليها وعلى المشتغلين بها.وكان أبرز المشجعين للحركة العلمية من الحكام الزنكيين الملك العادل نور الدين محمود 541-569هـ/1146-1174م وكان نور الدين عارفا بالفقه على مذهب الأمام أبي حنيفة، وليس عنده تعصب بل الإنصاف سجيته في كل شيء. وقام نور الدين ببناء المدارس ودور الحديث ومكاتب الأيتام و الخوانق والجوامع وأوقف عليها الأوقاف الغنية. وأجرى عليهم وعلى معلميهم الجرايات الوافرة [2] .

وقد أُحصِيت أوقاف نور الدين فكانت في كل شهر تسعة آلاف دينار صورية ليس فيها غير ملك صحيح باطنا وظاهرا، وأنه أوقف ما انتقل إليه"من إرث والده" أو ما غلب عليه من بلاد الفرنجة وصار سهمه.[3] وقد شارك في دعم النهضة التعليمية وازدهارها بعض كبار رجال الدولة الزنكية مثل أسد الدين شيركوه[4] ت 564هـ/1168م ، الذي كان من اكبر أمراء نور الدين ، فقد شارك في بناء مدرسة خارج مدينة دمشق ووقفها على الفريقين

1- أبو شامة، كتاب الروضتيين ، ج1، ص51-52 ؛ ابن واصل، مفرج الكروب ، ج1، ص284 ؛ ابن الأثير ، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل ، تح عبد القادر طليمات ، دار الكتب الحديثة بالقاهرة 1963م،ص172.

2-ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص 160-172.

3- ابن واصل، مفرج الكروب ، ج1، ص284.

4- هو عم السلطان صلاح الدين الأيوبي، ومقدم عساكر نور الدين محمود ، وأكبر أمرائه ، كان يخدم والده عماد الدين زنكي فلما توفي اتصل بابنه نور الدين ، فقربه ، وقدمه ، ورأى منه شجاعة وبسالة ، وكان سفيرا له إلى العديد من العواصم الإسلامية ، كما قاد جيوش نور الدين إلى مصر ، حتى تم له فتحها في سنة 564هـ/ 1168م ولم يلبث أن توفي فجأة في نفس العام. (ابن خلكان ، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، تح إحسان عباس، دار صادر ، بيروت 1972م ، ج2، ص479-481)

الشافعية والحنفية، وهي المدرسة الأسدية، وكذلك خانقاه للصوفية بدرب الهاشميين[1] داخل دمشق، وكذلك شارك العلماء مشاركة فعالة في تشجيع التعليم ونشره في بلاد الشام .

وكذلك أسهمت النساء في تشجيع العلم والتعليم عن طريق إنشاء دور التعليم على اختلافها، وقد ذكر ابن جبير ذلك الذي زار بلاد الشام بعد العهد الزنكي بقليل فقال: ومن النساء الخواتين[2] ذوات الأقدار من تأمر ببناء مسجد أو رباط أو مدرسة وتنفق الأموال الواسعة وتعين لها من مالها الأوقاف [3] .

ومن النساء اللاتي كان لهن اهتمام بالتعليم الست زمرد خاتون [4] ت 557هـ/ 1161م فقد كانت على قدر كبير من العلم والثقافة، حافظة للقرآن، شاركت في بناء المدارس، فقد أنشأت المدرسة الخاتونية خارج دمشق، وأوقفت عليها الأوقاف [5] .

لم تقف جهود الزنكيين عند بناء المدارس ودور العلم إنما تعدَّته إلى التشجيع على البحث والتأليف، وكان من أبرز الحكام الزنكيين اهتماماً بذلك نور الدين محمود فقد تم استكمال

1- يعرف هذا الطريق بدرب الهاشميين أو درب الوزير ، وهو داخل باب الجابية بدمشق. (النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، تح، جعفر الحنى، ج1، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة 1988م ، ج2 ، ص139)

2-الخواتين ، جمع خاتون ، وهو لفظ تركي معناه السيدة ، دخل العالم الإسلامي عن طريق الأتراك ، وكان هذا اللفظ يرد أحيانا بجانب الاسم ، ويقوم مقام لقب " السيدة " للإشارة إلى الجليلات من النساء خصوصا أميرات الأسر الحاكمة. (القلقشندي ، صبح الاعشى، ج6 ، ص78 ؛ حسن الباشا ، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، النهضة العربية ، القاهرة 1978م ، ص264-265)

3- الرحلة ، ص248.

4- زمرد خاتون بنت الأمير جاولي ، وأخت الملك دقاق بن تتش صاحب دمشق لأمه ، وزوجة تاج الملك بوري ، وأم ولديه شمس الدين اسماعيل ومحمود ، تزوجها الأتابك عماد الدين زنكي ، فبقيت معه حتى مقتله 541هـ/ 1146م ، فلما قتل حجت وجاورت في المدينة حتى وفاتها سنة 557هـ/1161م، ودفنت بالبقيع.(الذهبي، العبر في خبر من عبر، تح، صلاح الدين المنجد، ط2، الكويت 1948م ،، ج3 ، ص27 ؛ ابن كثير ،البداية والنهاية، ت. محمد عبد العزيز النجار، القاهرة، 1992م ، ج12 ، ص245-246)

5- النعيمي، الدارس ، ج1 ، ص247، 403.

تأليف كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر ت 571هـ/ 1176م .[1] وقد وصف أبو شامة بلاد الشام وما شهدته من نشاط علمي في عصر الملك العادل نور الدين محمود بأنها أصبحت مقراً للعلماء والفقهاء والصوفية، وذلك لصرف همته إلى بناء المدارس والربط وترتيب أمورهم[2].

2- **الحرص على نشر المذهب السني ومحاربة المذهب الشيعي:** تركزت الجهود المبذولة في سبيل نشر المذهب السني في بلاد الشام، دون غيرها من البلاد الزنكية لسببين بارزين هما:

أ- أن الغالبية العظمى من سكان الموصل كانوا على المذهب السني "شافعي و حنفي" اللذين انتشرا فيها منذ أيام السلاجقة [3] ، ولم يكن للمذهب الشيعي أي

1- ابراهيم المزيني، الحياة العلمية في العهد الزنكي،ط1، الرياض 2003م ، ص79.

2- أبو شامة، كتاب الروضتين، ج1، ص62.

3- السلاجقة : ينتمي السلاجقة إلى مجموعة من القبائل التركية عرفت باسم الغز ، كانوا يسكنون سهول التركستان، ثم هاجروا إلى بلاد ما وراء النهر ، وقد سموا بذلك نسبة إلى جدهم الأعلى سلجوق بن دقاق الذي وحد كلمتهم فإن تأثيرهم السياسي لم يظهر جليا إلا مع توحدهم تحت زعامة طغرل بك (429 – 455هـ / 1037 – 1063م) الذي أعلن قيام دولة السلاجقة ، ونصب من نفسه سلطاناً عليهم ولم يلبث السلاجقة في عهد أعظم ملوكهم ملكشاه(465 – 485هـ / 1072 – 1092م) أن توغلوا بحدود دولتهم حتى وصلت إلي أقصي اتساع لها فوصلت بلاد الشام كله ، لكن هذه الدولة السلجوقية الفتية سرعان ما بدأت تعانى سكرات النهاية والدخول في طور الانهيار بعد وفاة ملكشاه عام 485هـ / 1092م ، فلما توفى ملكشاه انقسمت دولته بين أبنائه الأربعة ، وجرى التنافس حول ارثه بين الأبناء وكذلك أعمام ملكشاه ، وكان ولى عهده بركياروق في الثالثة عشر من عمره ، ثم لم يلبث أفراد البيت السلجوقي أن دخلوا في نزاعات فيما بينهم حول مناطق النفوذ في العراق و خراسان وفارس ، تلك الصراعات التي فتتت وحدة تلك الدولة وجزأتها إلي إمارات ودويلات صغيرة في بلاد الشام والجزيرة الفراتية. وللمزيد عنهم انظر : الحسيني ، زبدة التواريخ ، بيروت 1985 ، ص1–3 ؛ البنداري ، تاريخ دول آل سلجوق ، ط3 ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت 1980م ، ص7 وما بعدها ؛ الراوندى ، راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية ، ت ابراهيم الشواربى وآخرون ، القاهرة 1960 ، ص 167. =

نفوذ في الموصل إلا في أواخر الحكم الزنكي حينما استأثر النائب بدر الدين لؤلؤ[1] بالحكم وعمل على تشجيع المذهب الشيعي ونشره في بلاده لمقاومة الطريقة العدوية[2] التي استفحل أمرها في الموصل في ذلك العصر.

ب- إن المذهب الشيعي قد تركز في بلاد الشام ومصر، وبخاصة في مدينة حلب "قاعدة بلاد الشام الشمالية"حيث يمثل الشيعة غالبية السكان آنذاك، وفي مصر حيث قامت الدولة الفاطمية. أما في دمشق فقد كانت الغالبية فيها للمذهب السني، مع وجود بقايا للمذهب الشيعي من أيام الحكم الفاطمي [3] .

وقد أدرك نور الدين محمود الذي كان يعد المسؤول الأول عن توجيه السياسة التعليمية في العهد الزنكي خطورة الموقف السياسي المحيط به، وأيقن بضرورة توظيف التعليم لخدمة مصالح دولته، وهي مصالح تتطلب تخلي رجال الفكر والعلماء وعامة الناس عن قيود الأنتماء المذهبي الضيق حتى يتم التقارب بين مذاهب السنة لتوحيد العمل ونبذ الفرقة، حيث كانت

= Hassan, S., " Some observations on the problems concerning the origin of the Saljugides ", *IslamicCulture*, 49 (1965), pp.203 – 204. Lowe, H., The Seljuqs, in: *Cambridge medieval history*, Vol. 4, (e.d) Bury, J., (Cambridge, 1936), pp.308 -309

1- بدر الدين بن لؤلؤ بن عبد الله الأتابكي كان مملوكا لصاحب الموصل نور الدين أرسلان شاه بن عز الدين مسعود، وحظي بمنزلة رفيعة لديه، وكان نور الدين بدر الدين المدبر لشؤون دولة الزنكيين في الموصل، ثم استقل بملك الموصل تمام في سنة 631هـ/1233م،وتلقب بملك الرحيم وكانت وفاته سنة 657هـ/1259م. (الذهبي، العبر ،ج3، ص286–287)

2-الطريقة العدوية، إحدى الطرق الصوفية التي قامت بالموصل، وتنسب للشيخ عدي بن مسافر المتوفى سنة 557هـ/1161م وقد تعاظم شان العدوية ، واستفحل خطرها بعد تسلم شمس الدين حسن بن صخر قيادتها، وكانت تلك الطريقة تدعو إلى تأسيس دولة أموية تحت ستار التصوف فأخذ بدر الدين لؤلؤ بمحاربتها عن طريق نشر المذهب الشيعي. (ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص80)

3- ابراهيم المزيني، الحياة العلمية، ص80–82.

الخلافات بين مذاهب السنة إحدى عوامل الخلاف بين المسلمين آنذاك، فعمد إلى التقريب بين المذاهب السنية وإنشاء المدارس، وتوظيفها لخدمة تلك المذاهب جميعاً دون تفريق بين مذهب وآخر [1].

وقد أوضح نور الدين سياسته هذه بقوله "نحن ما أردنا ببناء المدارس إلا نشر العلم ودحض البدع من هذه البلدة وإظهار الدين" وأظهر بحلب السنة وغيَر البدعة التي كانت لهم في الأذان وقمع بها الرافضة وبنى المدارس، ووقف الأوقاف، وأظهر العدل.[2] وقد كانت أبرز الجهود التي قام بها نور الدين لتمكين المذهب السني في بلاد الشام تلك التي قام بها في حلب " قاعدة حكمه الأولى" إبطال بعض مظاهر التشييع في حلب، كالأذان بحي على خير العمل،والتظاهر بسب الصحابة رضوان الله عليهم.وحذرهم من العودة إلى ذلك[3] وأبعد بعض زعماء الشيعة عن حلب، ممن كان يخشى خطرهم، وكذلك إنشاء المدارس لتخريج طائفة من المتعلمين السنّيين لتدريس المذاهب السنية وتخريج موظفين يشاركون في إدارة شؤون الدولة، فكانت تلك المدارس لبنة أساسية في تشجيع الحياة العلمية وازدهارها في ذلك العهد، وهذه الجهود آتت ثمارها وخاصة فيما يلي:

– تحويل حلب إلى مركز من مراكز السنة بعد أن كانت قاعدة للمذهب الشيعي.

– دعم الحركة التعليمية ، فقد كان تشجيع نور الدين على إنشاء المدارس مثلا لمن حوله من الأمراء و الوزراء فتسابقوا على إنشاء دور التعليم المختلفة [4] .

1- ابراهيم المزيني، الحياة العلمية، ص80–82.

2- أبو شامة، كتاب الروضتين، ج1، ص32–61.

3- ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص475–476.

4- ابراهيم المزيني، الحياة العلمية ، ص90–91.

– علل أحد الباحثين ظهور المدارس و انتشارها في العهد الزنكي بهذه الكثرة الملحوظة بأنه رد فعل لتدهور الدعاية الشيعية الاسماعيلية [1] التي فقدت سيطرتها أولاً في بلاد الشام لانحسار سلطة الفاطميين ثم انهارت أخيراً في مصر بعد سقوط الدولة الفاطمية أمام جيوش نور الدين محمود [2] .

3- الوجود الصليبي في بلاد الشام : أثر الوجود الصليبي في توجيه التعليم ومنهجه ، إذ أصبح التعليم في تلك الفترة مصبوغاً بلون من ألوان التوجيه المدروس والمخططاً قوامه بث روح الجهاد وحبه في قلوب الناس من خلال التركيز على تدريس العلوم الشرعية بفروعها المختلفة، والحرص على تتبع آثار السلف الصالح أكثر من الخوض في مسائل تتعلق بالعقل وتعدد الآراء والخلافات[3] . وكان الاتجاه إلى العناية بدراسة الحديث الشريف، وتشييد دور خاصة به يعد من أبرز سمات هذا العهد، حيث بادر نور الدين إلى إنشاء أول دار تخصصية لتدريس الحديث الشريف في الإسلام، وهي دار الحديث النورية بدمشق[4] .

المراكز التعليمية في مدينة حلب في العصر الزنكي :

حلب مدينة مليئة بآثارها المتعددة التي تعتبر شاهداً على أهمية و دور هذه المدينة في العصر الإسلامي بشكل عام والعصر الزنكي بشكل خاص ، و قد تنوعت المراكز التعليمية في هذه المدينة إلى جانب المدارس ، من ذلك بقاء دور المسجد العلمي و خاصة الجامع الكبير

1- كان الفاطميون شيعة على المذهب الاسماعيلي الذي ينسب إلى اسماعيل بن جعفر الصادق ، الإمام السابع الذي نصبه الاسماعيلية إماماً لهم ، ومن أهم مبادئهم إيمانهم بالإمامة ، وان العقل البشرى وحده يقصر عن الوصول إلى معرفة الله معرفة حقة ، لذا يجب على الناس أن يختاروا إماماً يقوم بإرشادهم ، كما يؤمنون أن لكل ظاهر باطناً ، لذا عرفوا أيضاً بالباطنية ، وللمزيد عنهم . (النوبختى ، فرق الشيعة ، تحقيق عبد المنعم الحفنى ، القاهرة ، 1992 ، ص 67 ؛ Daftray, F., " The earliest Isma'ilis ", Arabica, 38 (1991), pp. 214 – 245.)

2- محمد حلمي أحمد، الحياة العلمية في مصر والشام، المجلة التاريخية المصرية، مج7، القاهرة 1958م، ص6

3- ابراهيم المزيني، الحياة العلمية ، ص96-97.

4- ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص172 ؛ أبو شامة، كتاب الروضتين، ج1، ص23.

، وكذلك أنشأ الزنكيون الخوانق[1] و الربط[2] و دور الحديث ، و كذلك البيمارستانات [3]و قد أسهمت في ازدهار الحياة العلمية فيها، بل نستطيع القول إن المدارس كانت الأساس في الحركة العلمية، وقامت كل من الدور الأخرى برفد ومساعدة المدارس في نشر العلم، كذلك يجب أن نضيف مكاتب الأيتام و الكتاتيب التي كانت موجودة وهي مرحلة لابد منها لكل من يريد دخول المسجد أو المدرسة لتعلم، وسوف نقوم باستعراض لهذه المراكز التعليمية في مدينة حلب.

1- الخوانق ، جمع خانقاه، وتكتب أحيانا خانكاه، وهي كلمة فارسية معربة وتعني مسكن الصوفية وجعلت مقرا لتعبد الصوفية، حدث عملها في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي ، وهي بيوت أعدت للصوفية لكي يخلوا فيها إلى عبادة الله تعإلى، وتكونت عمارتها غالبا من ثلاثة أقسام أولها القبة التي يجتمع فيها أهل الطريقة التي تنتمي الخانقاه إليها لإقامة هذه الشعائر، وثانيها رواق الزوار الذي كان يخصص للمتجردين ممن يحبسون أنفسهم للبقاء في الخانقاه وخدمة زوارها وطريقتها، وربما كان منه قسم للرجال وآخر للنساء ، وثالثها بيوت السكن التي يقيم فيها شيخ الخانقاه والدارسون ونحوهم ، فكانت الخانقاه من ثم المدرسة والمسجد مكانا لتدريس العلوم الدينية كالفقه والحديث والتفسير. (محمد ألتونجي ،المعجم الذهبي (فارسي عربي) ، دار العلم للملايين ، بيروت 1969م ، ص232؛ المقريزي، الخطط، مكتبة الآداب ، القاهرة د.ت، ج4، ص271-272؛ عاصم رزق ، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية ،ط1، مكتبة مدبولي ، القاهرة 2000م ،ص 93).

2- الربط ، جمع رباط، والرباط بالكسر ما تشد به الدابة والقربة وغيرها ، والرَباط أيضا المرابطة وهي ملازمة ثغر العدو ، والمواظبة على الأمر ، وهو بيت يسكنه المتصوفة والزهاد، فكأنهم يرابطون فيه، ويتفقون على قصد واحد، وهو طاعة الله ، وجهاد النفس وانتظار الصلاة بعد الصلاة، وقد اعتادت الدول الإسلامية إنشاء هذه الأربطة على حدودها وثغورها ليكون كل منها بمثابة حصن وبرج مراقبة واتصال ومنارة ومحطة بريد ترسل منها الأخبار العاجلة والإنذارت الآتية إلى حاضرة الخلافة في حال تعرض الدولة للخطر، كانت عمارة الرباط عبارة عن بناء حجري مستطيل يتكون في الغالب من طابقين ، يحيط به سور أرضي حصين متوج بشرفات علوية ، يشتمل على مدخل بارز مزود بمقاذف للمنجينقات ونحوها ، في أركانه أبراج للمراقبة ، وفي احدى زواياه منارة أكثر ارتفاعا من سائر الأبراج تتكون من قاعدة مربعة وبدن اسطواني ، وفي وسط فناء تدور حوله حجرات صغيرة لسكن المرابطين فيه ترتكز سقوفها المقببة غالبا على أكتاف حجرية مربعة ، علاوة على مسجد صغير أو زاوية يقيمون فيها شعائر صلواتهم.(الرازي ، مختار الصحاح ، تح محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت 1995م، ص97؛ المقريزي، الخطط، ج4، ص292؛ عاصم رزق ، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، ص116).

3- البيمارستانات، جمع بيمارستان ، كلمة فارسية معربة، وهي مركبة من كلمتين(بيمار) بمعنى مريض أو ضعيف، و(ستان) بمعنى المكان فهي إذا بيت المريض أو دار المريض. (محمد ألتونجي ،المعجم الذهبي (فارسي عربي) ، ص130-333 ؛ المقريزي، الخطط، ج4، ص258).

أولا : المساجد :

بقيت المساجد تلعب دوراً كبيراً في العملية التعليمية على الرغم من وجود المدارس وقد اشتهرت مساجد حلب بدورها الكبير في هذا المجال، وخاصة جامعها الكبير المعروف بالجامع الأموي، بني هذا الجامع فوق بستان الكنيسة التي توجد في مكان المدرسة الحلاوية غرب الجامع حالياً، وقد بناه الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك ت 99هـ/717م وكانت تُعقد في هذا الجامع قديماً الدروس على المذاهب السنية الأربعة، ولكل مذهب مكان مخصص، وبه المحدثون وأرباب الفتاوى ولهم معاليم على ذلك، وكان في الجامع زاويتان وقفهما نور الدين لتدريس مذهب الإمام مالك والإمام أحمد وزاوية بالجامع لتدريس الحديث وقفها العادل نور الدين[1] و أغفل المذهبين الشافعي والحنفي لأنهما كانا يدرسان في المدارس المخصصة لهما، والمدارس المالكية والحنبلية لم تكن موجودة في حلب لذلك أوقف نور الدين زاويتين لهما في الجامع الكبير، وكان هناك الكثير من المساجد التي بناها الزنكيون في حلب، ولكن كان دور الجامع الكبير أكثر في مجال الحياة العلمية في هذه المدينة في ذلك العصر.

ثانيا : المدارس :

يمكن تقسيم المدارس الموجودة في حلب في العصر الزنكي إلى قسمين: مدارس شافعية ومدارس حنفية.

- **المدارس الشافعية أهمها :**

المدرسة النفرية "النورية" :

أنشأها الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي في سنة 544هـ/ 1149م ، وهي تقع في حي التركمان نحو باب العراق ، وقد أقيم مكانها جامع الموازيني [2] ، أول من ولي التدريس

1- ابن العجمي الحلبي، كنوز الذهب في تاريخ حلب، تح، شوقي شعث ومحمود فاخوري، ج1، ط1، دار القلم العربي حلب 1996م، ص206-210 ،ص233-234.

2- جامع الموازيني: يقع في محلة ساحة بزة ، أنشأه بحلب الأمير سيف الدين نائب حلب ثم دمشق من عتقاء الملك الظاهر برقوق المتوفى سنة 815هـ/ 1412م ، وينسب هذا الجامع إلى خطيبه الشيخ شهاب الدين أحمد الموازيني.

(الطباخ ، أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، المطبعة العلمية ، حلب 1935 ، ج1 ، ص482)

بها قطب الدين مسعود بن محمد بن مسعود النيسأبوري الطريثثي توفي سنة 578هـ/1182م مصنف كتاب "الهادي بالفقه" وقد سمع الحديث وقرأ القرآن ودرَس بالمدرسة النظامية بنيسابور [1] ، ثم رحل إلى حلب فولي التدريس في هذه المدرسة. ثم ولي التدريس بها بعده مجد الدين طاهر بن نصر الله بن جهبل ، ولم يزل مدرسا بها إلى أن نقل إلى القدس الشريف وتوفي بها سنة 597هـ/1200م [2] .

المدرسة العصرونية: هذه المدرسة منسوبة إلى شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون[3] ويرجع بناؤها إلى أيام نور الدين المتوفى سنة 569هـ/1173م [4] .إلا أن هذه المدرسة كانت في الأصل دارا لأبي الحسن علي بن أبي الثريا وزير بني مرداس[5] أصحاب حلب. ولما جاء نور الدين محمود إلى حلب اشترى هذه الدار وحولها مدرسة وجعل فيها مساكن للمرتبين من الفقهاء والطلاب والخدم، وأصبحت مؤسسة تعليمية تقدم الخدمات والسكن والراتب

1- نيسأبور، وهي من بلاد خرا سان سميت سأبور لان الملك الفارسي سابور مر بها وبناها وافتتحت في عهد الخليفة عثمان بن عفان سنة 30هـ على يد عبد الله بن عامر. (الحميري، الروض المعطار، ص588)

2- ابن شداد عز الدين، الأعلاق الخطيرة، ج1، ص548-549. ابن الحنبلي الحلبي، الزبد والضرب، ص36 ؛

- Yasser tabba, The architectural patronage of Nur al-din, (1146-1174),vol 2, New YorkUniversity, p, 183.

3- ابن أبي عصرون : كان من أعيان الفقهاء في عصره درس بالموصل في مدارس عدة ثم انتقل سنجار وأقام بها مدة ، وفي سنة 545هـ/1150م ، انتقل بدعوة من نور الدين إلى حلب و درس بها ، و ولي القضاء فيها والنظر في الأوقاف ، وبلغ مكانة عالية لدى نور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي .

(ابن خلكان ، وفيات الأعيان، ج3 ، ص53-57)

4- صادق أحمد جودة، المدارس العصرونية في بلاد الشام، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت 1986م، ص162-165.

- Yasser tabb, OP,vol2, p183.

5- بني مرداس : تنسب هذه الأسرة إلى قبيلة بني كلاب العربية ، وقد حكمت حلب في الفترة ما بين (415-473هـ/ 1024-1080م) وكان ابن أبي الثريا وزير محمود بن نصر بن صالح المر داسي. (ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص204-214)

للمنتسبين فيها من الطلاب والفقهاء وذلك عام 550هـ/1155م. وبعد أن أتم نور الدين البناء استدعى شرف الدين بن أبي عصرون من سنجار[1] من أراضي الجزيرة الفراتية، ولكن المصادر[2] ذكرت أن نور الدين قد استدعى ابن أبي عصرون من سنجار عام 545هـ/1150م وبنى له عدة مدارس منها مدرسة حلب العصرونية، وهذا التاريخ يختلف مع ما ذكر من تاريخ بنائها عام 550هـ/1155م. ولكن هنالك حادثة تؤيد أن هذه المدرسة بنيت قبل سنة 550هـ وعلى الخصوص 545هـ ، وهي حادثة استدعاء ابن أبي عصرون من الموصل أو سنجار ليتسلم مدرسته في حلب إثر الخلاف الحاصل بين جماعة الفقهاء نهاية عام 544هـ/1149م الذين انقسموا إلى قسمين: العرب والأكراد، فالعرب يحبذون وجود ابن أبي عصرون ، والأكراديحبذونوجود القطب النيسابوري. وكحلٍّ لهذا الأمر استدعى نور الدين الاثنين حفاظاً على وحدة المسلمين وعدم انتشار الفوضى، فسلّم ابن أبي عصرون عصرونية حلب وسلّم النيسأبوري المدرسة النفرية "النورية" في حلب أيضاً.

تقع هذه المدرسة في حلب في محلة الفرافرة على الجادة الكبرى شمالي جامع الحيات المعروف قديماً بالمدرسة الناصرية، وأوكل نور الدين التدريس فيها إلى شرف الدين بن أبي عصرون، وفوض إليه أمر تعيين من يراه مناسباً للتدريس فيها، ووقف عليها أوقافاً تكفي المصروفات المفروضة لهذه المدرسة، ووقف عليها حوانيت وقرى داخل حلب وخارجها. أما مدرسو عصرونية حلب فكان أولهم و أشهرهم شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون وبقي فيها حتى عام 570هـ/1174م حيث غادر حلب إلى دمشق [3] وهكذا كانت العصرونية معهداً ومنبراً ثقافياً وحضارياً تدل على رقي وتقدم ذلك العصر.

1- سنجار، مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة، تبعد عن الموصل مسيرة ثلاث أيام من جهة الغرب. (الحموي، معجم البلدان،ج3، ص262)

2- ابن العجمي الحلبي، كنوز الذهب ، ج1، ص278 ؛ ابن شداد عز الدين، الأعلاق الخطيرة، ج1، ص244 ؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص476.

3- صادق احمد جودة، المدارس العصرونية، ص167-170.

المدرسة الأسدية الجوانية :

أنشأها أسد الدين شيركوه المتوفى سنة 564هـ/1168م. الذي أنشأها بمحلة الرحبة بحلب للمذهب الشافعي، وتقع هذه المدرسة في محلة باب قنسرين فوق الجامع المعروف بجامع الكريمية بقليل ، ولم تزل معروفة بهذا الاسم. أول من درّس فيها قطب الدين النيسابوري، الذي ولي التدريس في المدرسة النفرية النورية أيضاً. ثم تولاها ورشي القزويني[1] ولم يزل بها إلى أن رحل إلى حمص[2] سنة 600هـ/1203م[3] .

المدرسة الشرفية :

أنشأها الشيخ الإمام شرف الدين أبو طالب عبد الرحمن بن أبي صالح عبد الرحيم المعروف بابن العجمي، وصرف عليها ما ينيف على أربعمائة ألف درهم، ووقف عليها أوقافاً جليلة، ودرَس فيها ولده محي الدين محمد، ولم يدرّس فيها غيره إلى أن قتل شهيداً بأيدي التتر بعد استيلائهم على حلب. و أما شيخ الواقف شرف الدين فإنه توفي بعد استيلاء التتر على حلب في سنة 658هـ/1259م ودفن بقبة كان أنشأها شمالي المدرسة، واشترط أن يدفن بها .[4] وتقع حالياً في سويقة حاتم[5] ويسميها العامة الأشرفية خطأً[6] .

1- ورشي القزويني: المعروف بالشمس حامد القزويني ، كما يعرف بابن العميد ، ولد بقزوين سنة 548هـ/1153م ، وتفقه بمراغة ، وبغداد ، وسمع وحدث ، وذكر أنه قرأ على القطب النيسأبوري ، وقدم معه الشام و ولي قضاء حمص ، ثم انتقل إلى حلب ودرس بها ، وكانت وفاته بحلب سنة 636هـ/1238م.
(الأسنوي ، طبقات الشافعية ، تح عبد الله الجبوري ، دار العلوم ، الرياض 1981م ، ج2 ، ص323)

2- حمص ، بالكسر والسكون والصاد مهملة ، بلد مشهور قديم كبير مسور ، تقع بين دمشق وحلب في نصف الطريق . (الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص302)

3- ابن شداد عز الدين، الأعلاق الخطيرة، ج1، ص253؛ ابن العجمي الحلبي، كنوز الذهب، ج1، ص301-302؛ ابراهيم المزيني، الحياة العلمية ، ص398-399.

4- ابن شداد عز الدين، الأعلاق الخطيرة، ج1، ص258؛ ابن العجمي الحلبي، كنوز الذهب ، ج1، ص310.

5- سويقة حاتم:تصغير سوق ، والسوق يؤنث ويذكر ، تقع بين سوق أصلان دده إلى سويقة علي ولا نعرف شي عن حاتم هذا . (خير الدين الأسدي ، أحياء حلب و أسواقها ، تح عبد الفتاح قلعه جي ، دار قتيبة ، بيروت 1990م، ص244)

6- ابراهيم المزيني، الحياة العلمية ، ص398.

المدرسة الشعيبية :

كانت هذه المدرسة مسجداً يقال إنه أول ما اختطه المسلمون عند فتح حلب من المساجد، وعرف بمسجدالغضائري [1] ، فلما ملك نور الدين حلب، وأنشأ بها المدارس وصل الشيخ شعيب الأندلسي [2] فصيّر له هذا المسجد مدرسة، و جعله مدرساً فيها فعرفت به إلى اليوم ، و لم يزل مدرساً إلى أن توفي سنة 596هـ/ 1199م، في طريق مكة. وكان وقف لها وقفاً ببلد عزاز[3] وتقع المدرسة حالياً في محلة العقبة، داخل باب إنطاكية، ويعرف مكانها بجامع التوتة [4] .

- المدارس الحنفية أهمها :

المدرسة الحلاوية :

تقع هذه المدرسة تجاه باب الجامع الكبير الغربي، وكانت أول كنيسة من بناء هيلانة –أم الإمبراطور قسطنطين- ولم تزل كذلك حتى سنة 518هـ/1124م حينما حاصر الصليبيون حلب ونبشوا قبور المسلمين، وكان القائم على أمر حلب آنذاك القاضي ابن الخشاب، فرد عليهم بصنيعهم هذا بأن حول أربع كنائس بحلب إلى مساجد إحداها هذه التي عرفت بمسجد السراجين، والثانية في الحدادية، والثالثة في المقدمية، والرابعة هي ذلك المسجد القريب من حمام موغان [5] .

1- هو أبو الحسن علي بن عبد الحميد الغضائري، أحد الأولياء من أصحاب سري السقطي ، ذكر انه حج من حلب ماشيا أربعين حجة . (ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب ، دار صادر ، بيروت 1980م ، ج2 ، ص174

2- شعيب الأندلسي : هو الشيخ شعيب بن أبي الحسن بن حسين الأندلسي ، من الفقهاء المعتبرين والزهاد المعروفين ، وكان من أصحاب الحافظ بن سليمان المرادي ، وكان قد انقطع في مسجد الغضائري فعرف به ، واقتطع عنه اسم الغضائري . (ابن شداد عز الدين، الأعلاق الخطيرة ، ص105)

3- عزاز، تقع في شمال شرق حلب. (الحموي، معجم البلدان، ج4، ص118)

4- ابن شداد عز الدين، الأعلاق الخطيرة ، ج1، ص264–265؛ ابن العجمي الحلبي، كنوز الذهب ، ج1، ص340–343.

5- حامد زيان، حلب في العصر الزنكي، رسالة ماجستير غير مطبوعة، جامعة القاهرة 1970م، ص142.

ولما ملك نور الدين حلب وقفه مدرسة وجدَد فيه مساكن يأوي إليها الفقهاء، وإيواناً وكان مبدأ عمارتها سنة 544هـ/1149م. وكان نور الدين يملأ جرناً في المدرسة في ليلة 27 من رمضان بالقطائف محشوة، ويجمع عليه الفقهاء المرتبين بالمدرسة، وهي من أعظم المدارس صيتاً، وأكثرها طلبة وأغزرها جامكية، ومن شرط الواقف أن يحمل في كل شهر رمضان من وقفها ثلاثة آلاف درهم للمدرس يصنع بها للفقهاء طعاماً، وفي ليلة النصف من شعبان في كل سنة حلوى معلومة [1] ، و لما فرغ من بنائها استدعى لها من دمشق الفقيه الإمام برهان الدين أبا الحسن علي بن الحسن بن محمد بن أبي جعفر، وقيل جعفر البلخي المتوفى سنة 548هـ/1153م فولاه التدريس بها، كما استدعى الفقيه برهان الدين أبا العباس أحمد بن علي الأصولي السلفي من دمشق ليجعله نائباً عن برهان الدين ، وبقي نائباً عنه إلى أن مات، وحزن عليه البلخي حزناً شديداً، ولم يزل برهان الدين البلخي مدرساً بالمدرسة حتى خرج من حلب ، وقصد دمشق وتوفي بها سنة 548هـ/1153م ، وتولى المدرسة بعد خروجه الفقيه عبد الرحمن بن محمود بن محمد بن جعفر الغزنوي أبو الفتح الملقب علاء الدين ، فأقام بها مدرساً إلى أن توفي بحلب سنة 564هـ/ 1169م [2] .

ذكر ابن جبير هذه المدرسة أثناء رحلته إلى حلب وقال: "ويتصل به من الجانب الغربي – الجامع الكبير– مدرسة للحنفية تناسب الجامع حسناً وإتقان صنعة، فهما بالحسن روضة تجاور الأخرى، وهذه المدرسة من احفل ما شاهدناه من المدارس بناء وغرابة صنعة، ومن أظرف ما يلحظ فيها أن جدارها القبلي مفتح كله بيوتاً وغرفاً ولها طيقان يتصل بعضها ببعض، وقد امتد بطول الجدار عريش كرم مثمر عنباً فحصل لكل طاق من تلك الطيقان قسطها من ذلك العنب متدلياً أمامها فيمد الساكن فيها يده ويجتنبه متكئاً دون كلفة ولا مشقة" [3] .

1- ابن شداد عز الدين، الأعلاق الخطيرة، ج1،ص264–271.

2- ابن العجمي الحلبي، كنوز الذهب ، ج1، ص340–345.

Yasser tabba, op , p, 182.

3- الرحلة، ص227–228.

المدرسة المقدمية :

أنشأها عز الدين عبد الملك المقدم، وكانت إحدى الكنائس الأربع التي صيّرها القاضي ابن الخشاب مساجد في سنة 518هـ/1124م، وأضاف إليها داراً كانت إلى جانبها وابتدأ في عمارتها سنة 545هـ/ 1150م، وأول من درّس بها برهان الدين أبو العباس أحمد بن علي الأصولي مدرس الحلاوية، ثم وليها بعده السيد الشريف الإمام العالم افتخار الدين عبد المطلب بن الفضل الهاشمي وبقي بها إلى أن توفي سنة 616هـ/ 1219م [1].

وحددها الغزي[2] في محلة الجلّوم، بدرب الحطابين [3]، وقد وجدت كتابة في أعلى بابها نصّها "بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما وقفه تقرباً إلى الله تعالى في أيام الملك العادل محمود بن زنكي بن آق سنقر عز نصره الفقير إلى رحمة الله محمد بن عبد الملك بن محمد في سنة 564هـ/1168م فرحم الله من قرأه ودعا له بالمغفرة"، وباب هذه المدرسة موجهة غرباً، وهي الآن معطلة مائلة للدثور.

المدرسة المجديَة الجوانيَة :

تنسب هذه المدرسة إلى نائب نور الدين في حلب وهو مجد الدين بن الداية أبو بكر محمد بن الداية المتوفى سنة 565هـ/ 1170م وهي بالقرب من ضريح النبي بلوقيا بمحلة يزي، وقد خربت ولم يبق لها أي اثر [4] .

المدرسة المجديَة البرانية :

وتنسب أيضاً إلى مجد الدين بن الداية مؤسس المجديَة الجوانية، وقد ذكر إنها دثرت ولم يبق لها أي أثر [5] .

1- ابن شداد عز الدين، الأعلاق الخطيرة، ج1، ص276-277.

2- نهر الذهب ، ج2 ، ص 57-58.

3- درب الحطأبين ، عرف بعد ذلك بدرب سلار ، وهو المعروف الآن بزقاق خان التتن ، في محلة الجلوم الكبرى بحلب . (محمد كرد علي ، خطط الشام ، ط3 ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت 1983م ، ج6 ، ص143)

4- ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص120.

5- المصدر نفسه، ص120.

المدرسة الحدَادية "الحدادين":

أنشأها حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين –ابن أخت صلاح الدين الأيوبي– وكانت من الكنائس الأربع التي سبق ذكرها، فهدمها وبناها بناء وثيقاً، وجعلها وقفاً لتدريس الفقه الحنفي، أول من درّس فيها الفقيه الإمام الحسين بن محمد بن أسعد ابن حليم المنعوت بالمنجم، وكان فقيهاً عالماً متأدباً، ولم يزل فيها إلى أن استدعاه نور الدين إلى دمشق وولّى مكانه عالي بن ابراهيم الغزنوي، ولم يزل بها إلى أن توفي سنة 582هـ/1186م [1].

أما عن المذهبين المالكي و الحنبلي، فلم ينشأ لهما أية مدرسة على الإطلاق بحلب في العصر الزنكي، غير أن نور الدين لم يهملهما تماماً فقد أوقف على تدريس مذهبيهما زاويتين بالجامع الكبير، ووقف عليهما الأوقاف الكبيرة [2].

ثالثا: دور الحديث:

إلى جانب اهتمام نور الدين بالمدارس اهتم هو وأمراؤه ببناء دور للحديث، لا سيما وأن دراسة الحديث قد شهدت أزهى عصورها من حيث التأليف والجمع، ولكن معظم هذه الدور لا نعرف عنها شيئاً سوى أسماء من بناها وتنسب لهم مثل:

1- **دار للحديث:** تنسب إلى الملك العادل نور الدين محمود، وهي غير الزاوية التي أوقفها نور الدين داخل جامع حلب لتدريس هذا العلم.
2- دار أخرى أنشأها نائب نور الدين في حلب مجد الدين بن الداية المتوفى سنة 565هـ/1170م [3].
3- دار أنشأتها أم الصالح اسماعيل بن نور الدين في الخانقاه التي بنتها [4].

رابعا: الخوانق والزوايا:

يقصد بالخوانق دور للصوفية، وكانت مكان للخلوة والتعبد، و يقام فيها بعض الدروس في الفقه والحديث ومن أهمها :

1- ابن شداد عز الدين ، الأعلاق الخطيرة، ج1، ص 273، 274.
2- حامد زيان، حلب في العصر الزنكي، ص145 .
3- ابراهيم المزيني، الحياة العلمية، ص408 .
4- ابن العجمي الحلبي، كنوز الذهب، ج1، ص378 .

1- **خانقاه البلاط**: أنشأها شمس الخواص لؤلؤ الخادم[1] عتيق الملك رضوان بن تتش[2] ، وهي أول خانقاه بنيت في حلب وذلك سنة 509هـ/1115م وكان يتولى حلب نيابة عنه . وعرفت باسم البلاط لأنها تقع في سوق البلاط وكانت الخانقاه موقوفة على الفقراء المتجردين دون المتأهلين بحلب ثم هجرت ، ومحله في سويقة علي حالياً[3] .

2- **خانقاه ابن العجمي :** أنشأها شمس الدين أبو بكر أحمد بن العجمي، و كانت داراً يسكنها فوقفها أخوه الشيخ شرف الدين أبو طالب على الصوفية عند موته، وجعل لها وقفاً يدر عليها[4] .

3- **خانقاه القديم:** أنشأها نور الدين أيضاً وتولى النظر في عمارتها شمس أبو القاسم بن الطرسوسي، وهي وقف على الصوفية المتجردين أنشأها سنة 543هـ/1148م، وهي نيرة كبيرة متسعة الأرجاء بها قاعة للشيخ، وقبة للفقراء وإيوان كبير، وقبلية وبشرقيها في صحن الخانقاه باب ينزل منه إلى بركة ماء من قناة حيلان، وبوابتها عظيمة، وهي من زمن الواقف[5] .

4- **خانقاه ابن المقدم:** تنسب إلى عز الدين عبد الملك المقدم منشئ المدرسة المقدمية الحنفية وقد أنشأها بدرب الحطابين سنة 544هـ/ 1149م، وموقعها حالياً في محلة

1- المعروف بلؤلؤ اليايا خادم الملك رضوان بن تتش ، ومتولي تدبير أمور أبنيه ألب أرسلن وسلطان شاه في ملكهما حلب بعده ، تمادى في السلطة وضعفت حلب في عهده . قتل غيلة أواخر سنة 510هـ/ 1115م . (ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج2 ، ص167-172)

2- هو الملك رضوان بن تتش بن ألب أرسلان السلجوقي ، الذي حكم ما بين 488- 507هـ/ 1095- 1131م .(ابن الأثير ، الكامل ، ج8 ، 126،27 ؛ ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج2 ، ص120-164)

3- ابن شداد عزالدين ، الأعلاق الخطيرة، ج1، ص223 ؛ أحمد رمضان أحمد، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، القاهرة 1977م ، ص151.

4- ابن الشحنة، الدر المنتخب ، ص107.

5- ابن العجمي الحلبي ، كنوز الذهب، ج1، ص389.

الجلّوم في درب الحطأبين زقاق التتن قريبة من المدرسة المقدمية، وكان من جملة أوقافها حصتان بقرية جسرين و المحمدية من أعمال دمشق، وحصة بقرية كفتان والحواضر من أعمال حلب [1] .

5- **خانقاه القصر:** وهي تحت القلعة أنشأها نور الدين محمود، وسميت بهذا الاسم لأن مكانها كان قصر ، وكان مبدأ عمارته لها سنة 553هـ/1158م ، ولم يبق لهذه الخانقاه أثر [2] .

6- **خانقاه مجد الدين بن الداية:** تنسب هذه الخانقاه إلى نائب حلب عن نور الدين محمود وأخيه في الرضاعة مجد الدين بن الداية المتوفى سنة 565هـ/1170م، وتقع قرب عرصة الفراتي، وكان له خانقاه خارج حلب أيضاً [3] .

هناك خوانق أخرى اندثرت ولم يبق لها أثر، وكذلك وجد خوانق للنساء في حلب أسوة بالرجال وكانت تلجأ إليها النساء، وفيها حلقات علم أيضاً منها، خانقاه أنشأها نور الدين سنة 553هـ/1158م، وكذلك خانقاه أنشأتها زمرد خاتون بدرب البنات سنة 574هـ [4] ووجدت خوانق أخرى للنساء أيضاً، وربما كانت النساء التي تلجأ إلى هذه الخوانق من المقاطيع أو المغترين أو ربما نتيجة كثرة الحروب ووجود أرامل من النساء، ولم يكن لهن معين فلجأن إلى هذه الخوانق، وكانت لهذه الخوانق أوقاف كثيرة.وذكر الدكتور أحمد رمضان أحمد[5] أن الأسباب التي أدت إلى إقبال الناس في بلاد الشام على الخوانق وتهافتهم على سكناها إلى جانب ازدياد الشعور الديني ، كثرة ما أوقف عليها من أوقاف.

1- ابراهيم المزيني، الحياة العلمية ، ص410.

2- ابن شداد عز الدين، الأعلاق الخطيرة، ج1، ص223.

3- المصدر نفسه، ج1، ص224، ابراهيم المزيني، الحياة العلمية، ص411.

4- المرجع نفسه، ص411.

5- المجتمع الإسلامي في بلاد الشام، ص151 .

وكان هنالك **زوايا** في الجامع الكبير أنشأها نور الدين محمود منها زاويتان للمذهبين المالكي والحنبلي، وأوقف عليهما أوقافاً كثيرة . كذلك بنى نور الدين بيمارستان في حلب وهو البيمارستان النوري داخل باب إنطاكية، واختار نور الدين أفضل بقعة لبناء هذا البيمارستان، وأوقف عليه أوقافاً كثيرة منها قرية معراتا، ونصف مزرعة وادي العسل من جبل سمعان، وخمسة أفدنة من مزرعة كفر نايا، وثلث مزرعة الخالدي وطاحونة من المطخ وغيرها كثير [1].

وكان هذا **البيمارستان** بمثابة كلية للطب في زماننا بالإضافة للوظيفة العلاجية، لأنه كان يقوم بتدريب المتعلمين مهنة الطب ويشرف على تدريبهم خيرة الأطباء في ذلك العصر.

وكان في حلب في العصر الزنكي **مكاتب للأيتام** أنشأها نور الدين، وأوقف عليها أوقافاً كثيرة .وكذلك كان هناك كتاتيب لتعليم الصبيان الكتابة والقراءة هذا ما ذكره ابن جبير[2] حين قال "وتعليم الصبيان للقرآن بهذه البلاد المشرقية كلها إنما هو تلقين، ويعلمون الخط في الأشعار وغيرها تنزيهًا لكتاب الله عز وجل عن ابتذال الصبيان له بالإثبات له والمحو. وقد يكون في أكثر البلاد الملقن على حدة والمكتب على حدة فينفصل من التلقين إلى التكتيب".

والكتاتيب وجدت منذ وقت مبكر في الإسلام، واستمرت على مدار العصور الإسلامية حتى نشأت المدارس الحديثة. وفي العهد الزنكي كانت هذه الكتاتيب موجودة لتعليم الصبيان الخط والقراءة وبعض قواعد النحو والصرف وكذلك التاريخ والأشعار تمهيداً لدخولهم حلقات المساجد أو المدارس [3] .

- **خزائن الكتب:** بدأت النهضة العلمية بحلب منذ وقت مبكر، إلى أن كانت دولة نور الدين، حيث نهضت الحركة العلمية فازداد عدد الكتب وخزاناتها. ومن أهم خزائن الكتب في عهده تلك التي أوقفها بحلب على مدرسته –المدرسة النورية– وعهد إلى محمد بن ياسر

1- ابراهيم المزيني، الحياة العلمية ، ص412–413.

2- الرحلة ، ص245 .

1- أحمد شلبي، التربية والتعليم في الفكر الإسلامي ، ط11، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة 1999م، ص52–59.

الجنائي بأمرها و أجرى له جراية وافرة. ولم يقتصر الاهتمام بالكتب على الملوك والحكام بل اهتم بها أيضاً بعض العلماء، فمن خزائن هؤلاء خزانة بني جرادة أقرباء ابن العديم وهم من علماء حلب فقد كتب أحدهم وهو أبو الحسن بن أبي جرادة سنة 548هـ/ 1153م بخطه ثلاثة خزائن من الكتب النفيسة وخزانة لولده أبي البركات وأخرى لولده عبد الله أبي موفق الدين بن المطران فقد تولى سنة 587هـ/1188م وفي خزانته من الكتب الطبية وغيرها ما يناهز عشرة آلاف مجلد غير ما استنسخه، فقد كان في خدمته ثلاثة نسّاخ يكتبون له دائماً، ولهم جامكية [1].

القاهرة: الموقع والتسمية:

الموقع: تقع مدينة القاهرة عاصمة الدولة الفاطمية إلى الشمال من مدينة الفسطاط[2] وهي تقع على بعد ميل من نهر النيل وعند تجمع القوافل باتجاه الشام، وقد بناها القائد الفاطمي جوهر الصقلي[3] الذي دخل مصر سنة 358هـ/968م الذي قضى على الدولة الإخشيدية، وبدأ عصر جديد في مصر وذلك بإقامة الخطبة للخليفة الفاطمي المعز لدين الله[4] وإسقاط اسم الخليفة العباسي وتبديل الأذان بإضافة حي على خير العمل بدلا من حي على الفلاح، وبدأ جوهر الصقلي من أول يوم ببناء مدينة تكون حاضرة للخلافة الجديدة، وكذلك بناءا على طلب من المصريين الذين طلبوا منه عدم السكن معهم، وكذلك بنى هذه المدينة لتكون بعيدة عن مدينة الفسطاط معقل السنة.

1- الغزي، نهر الذهب ، ج1، ص139.

2- الفسطاط : أول مدينة إسلامية في مصر بناها عمرو بن العاص فاتح مصر . (الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص266)

3- هو جوهر بن عبد الله، القائد أبو الحسين، الصقلي، الرومي، ولد سنة 312هـ ومات سنة 381هـ كان قائد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله وهو فاتح مصر ومثبت الوجود الفاطمي في مصر . (المقريزي، المقفى الكبير، تح محمد البعلاوي ، دار الغرب الإسلامي ، القاهرة 1993م ، ج3، ص83)

4- هو أبو تميم معد بن المنصور أبي الطاهر بن القائم أبي القاسم تولى الخلافة سنة 341هـ ومات سنة 365هـ، (المقريزي، اتعاظ الحنفا بإخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تح، جمال الدين الشيال، الهيئة العامة لقصور الثقافة د.ت، ج1،ص93 وما بعدها)

وقد اختلف المؤرخون حول تاريخ بنائها فمنهم[1] من قال إن جوهر بمجرد دخوله أرض مصر بدأ ببناء القاهرة، وبنى منزل الخليفة وهما القصران الغربي والشرقي . ومنهم[2] من قال إنه لم يشرع في البناء إلا أن استقر له الأمر فأمر المؤذن أن ينادي بحي علي خير العمل، وأخذ يبني القاهرة، وكان ذلك عام 359هـ/ 969م. وأغلب الظن أن الرأي الأول هو الأرجح، لأن جوهر لم يكن في حاجة إلى وقت طويل ليستقر له الأمر فقد سبق دخوله إلى مصر مكاتبات وتمهيدات، مما أدى إلى دخوله بغير قتال ولا حتى مناوشات بينه وبين المصريين.

وكان موقع المدينة قبل تأسيسها صحراء مغطاة بالرمال يمر بها الناس في مسيرهم من الفسطاط إلى عين شمس، ولم يكن بها عند نزول جوهر سوى بستان الإخشيدي المعروف بالبستان الكافوري، ودير للنصارى يعرف بدير العظام، وبناء يعرف بقصر الشوك. وفي يوم السبت لست بقين من جمادى الآخرة سنة 359هـ/970م اختطت القاهرة، فنزلت كل قبيلة أو فرقة من فرق الجيش في مكان خاص بها، واختطت حارتها وسميت باسمها ومنها حارة زويلة وحارة كتامة وحارة البرقية [3] .

وقد اختار جوهر هذا المكان ليكون مدينة حصينة ضد هجمات القرامطة الذين استولوا على الشام وبنى لها سور وبنى فيها قصران وجامعا، وأحاطها بخندق من الجهة الشامية، وكانت القاهرة في البداية مدينة صغيرة وتقدر مساحتها بـ 340 فدانا (الفدان 4200م) وطول كل جانب منها 2200م، والقصر يشغل خمس هذه المساحة.

1- ابن كثير، البداية والنهاية ، ج11، ص283-310،234 ؛ الحموي، معجم البلدان، ج4، ص301 ؛

- Wijdan ali, The Arab contribution to Islamic art, Jordan, 1999, p,129.

2- المقريزي، الخطط، ج2، ص179-184 ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص310.

3- محمد السيد الوكيل، عناية الإسلام بتخطيط المدن وعمارتها، ط1، دار الأنصار، القاهرة 1981م، ص74-75؛ جمال الدين الشيال، تاريخ مصر الإسلامية، ج1، دار المعارف، القاهرة 1966م، ص137-143.

التسمية: أما عن سبب تسميتها بالقاهرة فهناك روايات عديدة بعضها أقرب إلى الخيال منها أن جوهر لما أراد البناء أحضر المنجّمين، وأمرهم باختيار طالع سعيد لوضع الأساس، فجعلوا أعمدة من الخشب بدائر السور، ووضعوا أجراسا على الحبال وقالوا للعمال إذا تحركت الأجراس فابدؤوا بالعمل وإذ بغراب يحط على الحبل ويحرك الأجراس، فبدأ العمال بالبناء، وكان الطالع هو القاهر وهو المريخ فسميت المدينة بالقاهرة [1] .

وهناك قول بأن جوهر سماها المنصورية على اسم المنصور والد الخليفة المعز لدين الله ، مثل المنصورية التي بناها الفاطميون خارج القيروان [2] .

ويقال إن المعز لدين الله عند قدومه إلى مصر سماها القاهرة لتكون قاهرة للدولة القديمة التي قضى الفاطميون عليها وقاهرة للخلافة العباسية، وهذا ما قاله المعز لجوهر عند خروجه إلى مصر قال: " والله لو خرج جوهر هذا وحده لفتح مصر، ولتدخلن إلى مصر من غير حرب ولتنزلن في خرابات ابن طولون وتبني مدينة تسمى القاهرة تقهر الدنيا" [3] .

مهما تعددت الروايات المهم أن القاهرة قد بنيت بأمر من الخليفة الفاطمي المعز لدين الله ونفذ ذلك جوهر الصقلي، والتسمية تدل على اعتزاز الفاطميين بقوّتهم ولا سيما أنهم سيطروا على مصر وهي معقل السنة، وحاضرة تابعة للخلافة العباسية، وربما يكون سبب التسمية نفسي أو معنوي لتكون تنبيه للسنّة المصريين على أن المذهب الاسماعيلي، قد أصبح هو السائد

1- ستانلي لينبول، سيرة القاهرة، ت، حسن ابراهيم حسن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1997م، ص1160117 ؛ شحاته ابراهيم، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1999م، ص72-73 ؛

أتدريه ريمون، القاهرة تاريخ حاضرة، ت، لطيف فرح، ط1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة 1994م، ص38.

2- القيروان، هي قاعدة بلاد إفريقية وأم مدنها، بناها عقبة بن نافع سنة 50هـ، وبنى جامعها المعروف. (الحميري، الروض المعطار، ص486).

3- المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص120-130.

في بلد كل أهله من السنة وأيضا للقرامطة في الشام والعباسيين في بغداد تدل على عظمة النصر الذي تحقق للفاطميين وعلى مدى قوتهم. ويهمنا من هذا كله التعرف على المراكز التعليمية في هذا العهد من جوامع ودور علم ومكتبات وغيرها ودور الفاطميين في دعم وإنشاء هذه المراكز أو إحياء القديم منها.

المراكز التعليمية في مدينة القاهرة في العصر الفاطمي:

بعد دخول الفاطميين إلى مصر سنة 358هـ/968م أصبحت مصر و لأول مرة عاصمة لخلافة إسلامية عريضة مستقلة بسياستها يحكمها خلفاء مستقلون وليس ولاة يدينون بطاعتهم لخلفاء من خارج مصر مما كان سببا في بروز نظم تعليمية جديدة لم تظهر من قبل كون أسلوبهم الخاص في التعليم وظهور دور لمصر في هذه الناحية [1] . ولذلك أصبحت مصر مقصد الرحالة والعلماء والأدباء لوجود بلاط الخلفاء، وان كانت من قبل مقر العلماء ولكن مع وجود بلاط سلطاني أصبح الوضع مختلف تماماً، ولا سيما إذا تأملنا وجود ثلاثة خلافات في العالم الإسلامي في القرن الرابع الهجري: الخلافة العباسية في بغداد، والخلافة الأموية في الأندلس، والخلافة الفاطمية بالقاهرة، وقد كان بين هذه الخلافات اختلاف في النواحي السياسية والمذهبية الأمر الذي جعلها متنافرة متنافسة فيما بينها في كافة المجالات وهذا بدوره جعلها تستقطب رجال العلم والأدباء والشعراء وغيرهم وكذلك تهتم بالثقافة كدليل على الغنى والرخاء والقوة.

– لقد تبنت الدولة الفاطمية المذهب الاسماعيلي كمذهب رسمي للدولة وعملت على نشره في مصر والعالم الإسلامي، وقد أشرفت الدولة بنفسها وخاصة الخلفاء على هذه المهمة حيث كانت تقام مجالس الحكمة أو الدعوة في قصر الخلفاء، وكان داعي الدعاة هو الذي يقوم بإلقاء الدروس في القصر بعد أن يختم الخليفة على الكلام الذي سوف يلقيه على المنتسبين إلى هذا المذهب، وقد حصرت هذه المجالس بالقصر لهذه الغاية، وتم بناء جامع الأزهر في سنة

1- عبد المنعم ماجد، التعليم عند الفاطميين، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت، عدد87، ج4، عمان 1987م، ص43.

359هـ /969م ودار العلم في سنة 395هـ/ 1005م كلها لخدمة المذهب الجديد لا سيما إذا أدركنا أن الخلافة الفاطمية في مصر أصبحت عاصمة الشيعة أول خلافة لهم، فأخذت على عاتقها مهمة تخريج الدعاة لينشروا هذه الدعوة في بقية الأمصار بل إن التنافس بين السنة والشيعة في مصر دعا إلى أن تكثر دور العلم المختلفة وان كانت معظمها مصبوغة بالصبغة الجديدة أعطى هذا دفعا كبيرا للتقدم العلمي وانتشار دور العلم المختلفة [1] .

– إن تشجيع الخلفاء الفاطميين ووزرائهم للعلم والتعليم ساعد على ازدهار الحياة العلمية في مصر فقد اهتم الخلفاء أنفسهم في دعم العلم من خلال تشجيع العلماء وبناء المكتبات ودور العلم وكذلك شراء الكتب فقد وجد في دار العلم أكثر من 1200 نسخة من تاريخ الطبري وغيره كثير وكذلك اهتم الوزراء بذلك فيعقوب بن كلس[2] كان يلقي المحاضرات في مجالس الحكمة وجامع الأزهر وشجع الخليفة الحاكم بأمر الله [3] العلم ببناء دار الحكمة أو العلم وتشجيع العلماء وسياسة التسامح التي سادت في أول حكمه [4] .

– وقد شغل موقع مصر الجغرافي على طرق التجارة الدولية بين الشرق والغرب في كثرة التجار و استقطاب العلماء والرحلة في طلب العلم فموقعه الوسط في العالم الإسلامي

1- المقريزي، الخطط، ج2، ص 165–170.

2- هو يعقوب بن يوسف بن كلس أبو الفرج وزير العزيز صاحب مصر كان يهوديا من أهل بغداد ثم انتقل إلى الرملة وعمل سمسارا فانكسر عليه مال فهرب إلى مصر . وتاجر لكافور الإخشيدي فرأى منه فطنة ، فقال لو أسلم لصلح للوزارة ، فأسلم . فقصده الوزير حينئذ فهرب بن كلس إلى المغرب وترقى إلى أن وزره العزيز سنة 365هـ/ 975م ، توفي سنة 380هـ/990م. (ابن تغرى بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتاب ، القاهرة 1939م ، ج4 ، ص158)

3- الحاكم بأمر الله ، أبو علي منصور بن العزيز بالله أبي المنصور نزار بن المعز لدين الله ولد سنة 375هـ/985م ، تسلم الخلافة الفاطمية سنة 386هـ/996م ، وفي سنة 411هـ/1020م فقد ، وقد اختلف في أمره .

(المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج2 ، ص3، 115)

4- المقريزي، المصدر نفسه، ج2، ص253–254.

ووقوعه على طريق الحج المغربي وإشراف مصر على البحر الأحمر والمتوسط أثر في الحياة الاقتصادية وهذه بدورها أثرت في ازدهار الحياة العلمية.

– وإن وجود الازدهار الاقتصادي الذي رافق قيام الدولة الفاطمية دفع الخلفاء الفاطميين في بذل العطاءات الكبيرة والأوقاف السخية على بناء المنشآت المعمارية ومنها دور العلم وإكرام العلماء والأدباء والشعراء ، كل هذه العوامل مجتمعة أثر بشكل آو بآخر على الحياة العلمية وازدهارها في مصر كلها وخاصة مدينة القاهرة عاصمة الخلافة،[1] نذكر من

أهم دور العلم بالقاهرة في العصر الفاطمي :

جامع الأزهر:

هذا أول جامع أسس بمدينة القاهرة، أنشأه القائد جوهر الصقلي في مصر وشرع في بناء هذا الجامع في يوم السبت لست بقين من جمادى الأولى سنة 359هـ /969م، وكمل بناؤه لتسع خلون من شهر رمضان سنة 361هـ/971م وفي سنة 378هـ/987م أمر الخليفة العزيز[2] وزيره يعقوب بن كلس بتجديد أشياء فيه وإعطاء أرزاق إلى الفقهاء وذلك بشراء دار وبنائها لكل واحد منهم ومن الرزق ما يكفي كل واحد منهم[3] . ثم جدده الحاكم بأمر

1- محمود الحويري، مصر في العصور الوسطى الأوضاع السياسية و الحضارية، عين للدراسات والبحوث، القاهرة 2003م، ص165–166.

2- العزيز بالله أبو المنصور بن العز لدين الله ، ولد سنة 344هـ/955م ، بمدينة المهدية بالمغرب تسلم الخلافة الفاطمية سنة 365هـ/ 975م ، مات سنة 386هـ/996م . (المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج1 ، ص236–290)

3- المقريزي، الخطط ، ج4 ، ص49.

الله ووقف عليه أوقافا وجعل فيه تنورين فضة وسبعة و عشرين قنديلاً فضةً، ثم جُدِّد هذا الجامع أيضا في عهد الخلفاء الفاطميين من بعده[1] .

إن فكرة الدراسة بالأزهر قائمة على فكرة الدعوة المذهبية، وبدأ استخدام الأزهر بهذه المهمة، ففي سنة 365هـ/975م جلس القاضي النعمان، وأملى مختصر أبيه في الفقه عن آل البيت، ويعرف هذا المختصر بـ " الاقتصار" وحضر هذا المجلس جمع عظيم من الناس أثبتت أسماؤهم عنده فكانت هذه أول حلقة للدرس بالجامع الأزهر ومما لاشك فيه أن الغرض الأساسي من بناء الجامع الأزهر هو أن يكون معهدا لفئة معينة من الطلاب الذين يقومون بدراسة الفقه الشيعي وفلسفته حتى إذا ما أتموا دراستهم قاموا بالدور المطلوب منهم ونشر مذهب الدعوة الشيعية ومعتقداتها بين الناس أي أنه كان مركزا لتدريب دعاة المذهب وتخريجهم، ولكن لم يلبث أن تطور ليصبح جامعة من أهم الجامعات الإسلامية التي يقصدها المعلمون والمتعلمون[2] .

ويعتبر الوزير يعقوب بن كلس أول من فكر باتخاذ الجامع الأزهر معهدا للدراسة المنظمة المستقرة فقد استأذن الخليفة العزيز بالله سنة 378هـ/988م في أن يعيّن بالأزهر جماعة من الفقهاء للقراءة والدرس يعقدون مجالسهم بالأزهر كل جمعة بعد الصلاة حتى العصر وكان عددهم سبعة وثلاثين فقيها ورئيسهم ومنظم حلقتهم العقبة أبو يعقوب قاضي الخندق ورتب لهم أرزاقا و جرايات شهرية حسنة، وأنشأ لهم دارا للسكنى بجوار الأزهر، وخلع عليهم في يوم الفطر وحملهم على بغلات تشريفا لهم وتكريما.

وبناء على ذلك نستطيع القول بأن الأزهر اكتسب صفته العلمية الحقيقية كمعهد للدراسة المنظمة، وأنه بدأ حياته الجامعية الحافلة منذ أوائل العصر الفاطمي، وما كادت

1- السيوطي، حسن المحاضرة، تح محمد أبو الفضل ، دار الفكر العربي ، القاهرة 1998م ، مج2، ص219 ؛ حسن ابراهيم حسن، الفاطميون في مصر، المطبعة الأميرية بالقاهرة 1932م، ص128.

2- عبد الغني عبد العاطي، التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك ، ط2، دار الفكر المعارف ، القاهرة 2002م ، ص 20 .

حلقات الدراسة تنتظم في الأزهر حتى ظهر منافس شديد الوطأة إلا وهو "دار الحكمة" التي أنشأها الخليفة الحاكم بأمر الله على أن كلا المعهدين كانت له رسالة خاصة فبينما كان الأزهر مركزا للثقافة الدينية المحضة إذ بدار الحكمة تقوم بجانب مهمتها في نشر المذهب الشيعي بتدريس علوم اللغة والطب والرياضيات والمنطق وغيرها[1] .

وهذا التحول خفف من الشدة والقيود المذهبية التي كانت في الجامع وساعد على ذلك ما أظهره الحاكم بأمر الله من تسامح في أول سني عهده حيث درّس بالأزهر بعض علماء السنة في علوم الفلسفة والمنطق والطب والرياضيات ولكن في حدود ضيقة [2] .

المهم أن جامع الأزهر شغل دورا كبيرا في ازدهار الحياة العلمية في مصر في هذا العصر وان كان التعليم اقتصر في غالبه على مذهب معين "المذهب الاسماعيلي" وكان مقصد العلماء من كل الجهات العالم الإسلامي.

وقد بنى الفاطميون الكثير من المساجد في القاهرة وخارجها، فقد بلغ عددها في عهد المستنصر[3] 36 ألف مسجدا، وهذا رقم مبالغ فيه، ولكن يدل على كثرة المساجد في العصر الفاطمي[4] ، وكذلك بنى الحاكم جامع له سماه باسمه ويقال إن الخليفة العزيز وضع أساسه وأكمله الحاكم وكان مكتوبا عليه أنه "أمر بعمله الحاكم أبو علي المنصور في سنة ثلاث وتسعين وثلاث مائة" وعلى منبره مكتوب أنه " أمر بعمل هذا المنبر الحاكمي المنشأ بظاهر

1- سعاد ماهر، مساجد مصر و أولياؤها الصالحون ، 5 ج ،مطبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة د.ت ج2، ص167.

2- عبد الغني عبد العاطي، التعليم في مصر ، ص21.

3- المستنصر بالله هو أبو تميم معد بن الظاهر لإعزاز دين الله أبي الحسن علي بن الحاكم بأمر الله ، ولد سنة 420هـ/ 1029م بالقاهرة . تسلم الخلافة الفاطمية سنة 427هـ/ 1035م ، واستمر فيها حتى وفاته سنة 487هـ/1094م . (المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج2 ، ص184-185)

4- عبد المنعم ماجد، ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر التاريخ السياسي، دار المعارف بالإسكندرية 1968م، ص400.

باب الفتوح في سنة ثلاث وأربع مائة" [1] ، وجامع الحاكم بأمر الله أقيمت فيه الدروس ونقلت بعضها من الأزهر ولكن الجوامع الباقية لم تقم فيها دراسة منتظمة وإنما حلقات وعظ وغيرها.

دار العلم:

أولع الخلفاء الفاطميون بتشجيع المشتغلين بنشر المذهب الشيعي، فكان من ذلك أن جعل العزيز الجامع الأزهر مقرا للطلاب تحت إشراف وزيره الكبير يعقوب بن كلس فنقل إليه و إلى غيره كثيرا من المصاحف والكتب، وفي جمادى الآخرة سنة 395هـ/ 1005م أنشأ الحاكم جمعية علمية "أكاديمية" على مثال الأكاديميات الموجودة ببغداد وغيرها من البلاد، وأطلق عليها دار الحكمة فالتحق بها عدد من القراء والفقهاء والمنجّمين والنحاة واللغويين والأطباء، وألحق بدار الحكمة مكتبة أطلق عليها دار العلم حوَت ما لم يجتمع مثله في مكتبة من المكتبات وأجرى هذا الخليفة ومن جاء بعده من الخلفاء على خدامها ومن بها من الفقهاء الأرزاق السنية وجعل فيها ما يحتاج إليه المطالعون والنسّاخ من الحبر والأقلام والورق [2] .

أما أنواع الفنون التي تم تعليمها في دار العلم، فكانت تضم جميع العلوم، فقد ورد عليها من القرّاء "قراء القرآن" والفقهاء وخبراء الحديث "المحدثين" واللغويين والنحاة والأطباء والفلكيين والرياضيين، واستدعى من دار العلم عدد من العلماء وأرباب الحرف ومثلوا أمام الحاكم بأمر الله وقام بتقديم الكسوة الفاخرة والهدايا إليهم. ومن أبرز من حاول الحاكم جذبهم إلى دار العلم الشاعر الضرير أبو العلاء المعري "973-1058م" الذي عاش في بلدة معرة النعمان [3] ، ولكن الشاعر اعتذر عن الحضور، وقد أوقف الحاكم لهذا الصرح

1- ابن عبد الظاهر، الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة، تح أيمن فؤاد سيد، مكتبة الدار العربية للكتاب القاهرة د.ت، ص68.

2- حسن ابراهيم حسن ، الفاطميون في مصر ، ص137.

3- معرة النعمان ، هي بلدة صغيرة مشهورة واقعة شمال سورية . (الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص156)

أوقافا ثابتة، وجعل له قاعدة اقتصادية متينة وهناك نصوص وقفية تشير إلى الوقفية وكيف يمكن توزيعها[1] .

عمل فيها بعض العلماء السنة نتيجة التسامح الذي أبداه الحاكم في بداية حكمه وكذلك انتقل إلى دار العلم داعي الدعاة وكانت وظيفته القيام بقراءة كتب الفقه الخاصة بالشيعة وأصول العقيدة، وأخذ العهود على من ينتقل إلى مذهبه ولم تمض فترة قصيرة حتى ذاع صيت هذه الدار في كل الآفاق، وبدأت تنمو بسرعة وهرع إليها الطلاب من سائر الأقطار وتبوأت مركز الزعامة في الدراسات العلمية والفقهية.لكن سرعان ما انقلب الحاكم وقام بقتل علماء أهل السنة الموجودين بدار الحكمة وكان لهذا التصرف أثره السيئ على أهل السنة وزعزعة ثقتهم في دار الحكمة وفي الحاكم نفسه واستمرت دار الحكمة أو دار العلم بأداء دورها حتى اضطربت شئونها في عهد الخليفة المستنصر بالله، وانتهى الأمر إلى أن أغلقت في أوائل القرن السادس الهجري أيام الخليفة الآمر بأحكام الله [2] إذ أغلقها الأفضل أمير الجيوش بسبب اجتماع الناس فيها والخوض في المذاهب خوفا من الاجتماع على المذهب النزاري[3] . ونهبت هذه الدار من قبل الجنود والموظفين الذين لم يتلقوا مرتباتهم لبعض الوقت، وأول ما انتهبت المكتبة وتم إفراغ مكتبة دار العلم من الكتب. وهكذا تم تدمير دار العلم الأصلية للخليفة الحاكم بأمر الله واستعمل البناء لأغراض أخرى[4] .

1- هاينز هالم، الفاطميون وتقاليدهم في التعليم، ت، سيف الدين القصير، ط1، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق 1999م، ص118-120

2- وهو الأمر بأحكام الله أبو علي منصور بن المستعلي بالله الفاطمي صاحب مصر كان مشتهرا بالظلم والفسق امتدت دولته ثلاثين سنة قتل سنة 524هـ/ 1129م . (ابن أسعد اليافعي ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت 1970م ، ج3 ، ص241)

3- عبد الغني عبد العاطي، التعليم في مصر ، ص23-25 .

4- هاينز هالم، الفاطميون وتقاليدهم ، ص122-123.

ولكن أمر الخليفة الآمر بإحكام الله و وزيره المأمون البطائحي بالاستيلاء على دار العلم وإعادة افتتاحها بما ينسجم مع أوضاعها الشرعية والمقصود بأوضاعها الشرعية هو الوقف الذي أوقفه الحاكم بأمر الله الذي قصد به أن يكون حتى يوم القيامة جادل البطائحي حول اختيار موقعها القديم وأنه غير ملائم، لأنه كان قد استخدم كبوابة للقصر لفترة طويلة من الزمن، وأن الدخول والخروج الدائمين سوف يضرَان بالأنشطة التعليمية فقد اقترح مكاناً فسيحاً ضم مجمعاً من الأبنية في ضواحي القصر الشرقي الكبير في المنطقة المعروفة حاليا "بخان الخليلي" واشترط الوزير "أن يكون رئيسها رجلا تقيا وأن يكون داعي الدعاة مشرفا عليها"[1] . وهكذا أنشأت دار العلم الجديدة وبقيت عامرة حتى زالت الدولة الفاطمية[2] .

التعليم في القصور:

كان داعي الدعاة من كبار الموظفين في العهد الفاطمي وكان يلي قاضي القضاة في الرتبة و يتزيّـا بزيّـه، وكانت وظيفتا قاضي القضاة وداعي الدعاة تسندان في كثير من الأحيان إلى شخص واحد وقد خُصّص لداعي الدعاة قسم كبير من قصر الخليفة لإلقاء المحاضرات للمنتسبين إلى المذهب الاسماعيلي، وكان يساعده في نشر التعاليم الفاطمية اثنا عشر نقيبا. كما كان له نواب ينوبون عنه في البلاد، ويقوم داعي الدعاة بإلقاء المحاضرات بالفقه الاسماعيلي في يومي الاثنين والخميس، و هذه المحاضرات تعرض على الخليفة قبل إلقائها فيقرها ويذيلها بإمضائه، ثم تبلغ إليهم عن طريق داعي الدعاة[3] .

ولم يكن ينتظم في هذه المجالس سوى المعتقدين بالمذهب الاسماعيلي، ولا يسمح لغيرهم بحضورها وهذه المجالس تسمى مجالس الحكمة وكان داعي الدعاة يعقد خلال

1- المرجع نفسه ، ص132.

2- المقريزي، الخطط ، ج4 ، ص313 .

3- حسن ابراهيم حسن، الفاطميون في مصر، ص142.

يومين في الأسبوع خمسة مجالس للأولياء ومجلس للخاصة وشيوخ الدولة ومن يختص بالقصر من الخدم وغيرهم، ومجلس لعوام الناس وللطارئين على البلد ومجلس لنساء القصر وفي زمن الخليفة الحاكم بأمر الله وفي إطار سياسته المتناقضة طرأ تحول كبير على مجالس الحكمة حيث منع هذه المجالس من الانعقاد. ربما لأنه أنشأ دار الحكمة وجعلها مقرا وجامعة لكل العلوم، ولم يرد أن ينافسها موقع آخر، ثم عاد الحاكم وفتحها في سنة 401هـ/ 1010م ، وكتب سجلاً أمر بإعادة مجالس الحكمة وأخذ النجوى "وهي ضريبة يدفعه المنتسبون إلى هذا المذهب"[1] .

وكان بالقصور أماكن خاصة بأولاد علية القوم ويسير المؤدبون في تثقيف هؤلاء الصبيان وتعليمهم على منهاج خاص يرمي إلى إعدادهم لخدمة الخلفاء وشغل المناصب الرئيسية في دولة الخلافة.

وكان أيضا مجالس في القصر يعقدها الخلفاء وكانت للبحث والمناظرة وأن يجتمع فيها الأدباء والعلماء والشعراء وساعد على ازدهار هذه المجالس منح الخلفاء والوزراء المنح الكبيرة للأدباء والشعراء والعلماء ، ولم تقتصر هذه المجالس على قصور الخلفاء بل أيضا كانت تعقد في قصور الوزراء فالوزير يعقوب بن كلس رتب في داره للعلماء والأدباء والشعراء والفقهاء والمتكلمين وأجرى لهم الأرزاق وألف كتابا في الفقه ونصب له مجلسا وهو يوم الثلاثاء يجتمع فيه الفقهاء وجماعة من المتكلمين وأهل الجدل وتجري بينهم المناظرات وكان هذا المجلس خاصا بطبقة المتعلمين والمثقفين فقط. وكذلك الوزير طلائع بن زريك تولى الوزارة للخليفة الفائز سنة 549هـ/1154م وكان هذا الوزير شيعيا متعصبا ولكنه كان محبا للأدب والعلم والعلماء، صنف كتابا سماه "الاعتماد في الرد على أهل العناد" جمع له

1- أيمن فؤاد سيد ، الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 2007م، ص574-578.

الفقهاء وناظرهم عليه، وله مجلس في الليل يحضره أهل العلم للمناقشة في المسائل العلمية وتدوين ما يقوله من شعر وكان العلماء يفدون إليه من سائر البلاد [1] .

وجد كذلك في هذا العصر **كتاتيب لتعليم الصبيان**، نشطت نشاطا كبيرا و ظهرت تسميات متعددة مثل: مكاتب مفردها مكتب أو كان يسمى في أيام العباسين مكاتب الصبيان أو حتى لفظة الحوانيت وكان من يقيم فيها يسمى معلم الكتاتيب أما مقررات هذا التعليم الابتدائي فلا توجد معلومات متوفرة عنه والمتوقع أن كان أساسه ولا شك التعليم الديني، وكان ابن خلدون قد سمى هذه الطريقة بالطريقة المصرية في تعليم الصبيان، ومن الملاحظ أنه وجد في أيام الفاطميين في مصر إدراك أكبر للنواحي التربوية في تعليم الصغار، فقد كان للتهذيب الخلقي اهتمام خاص حتى عرف معلم المكتب في عهدهم باسم المؤدب، وكان المحتسب الفاطمي المشرف على هذا النوع من التعليم فينذر معلمي المكاتب أن لا يضربوا الصبيان ضربا مبرحا، ولا في مقتل، ونص عموما على أنه يمكن ضربهم إلى ثلاثة أسواط أو بعصا وسط أو في الفلكة، وهي الأداة من الخشب التي فيها خروق كل خرق على قدر سعة الساق يدخل فيها أرجل المذنب الذي يستلقي على الأرض لضربه على بطن الرجل، وكانت الفلكة مستعملة في المغرب أثناء الحكم الفاطمي [2] .

- **خزائن الكتب:** أولع الخلفاء الفاطميون بالكتب واقتناء الكتب ولعا شديدا، وبدأت خزائن الكتب الفاطمية بالنمو منذ وصول المعز لدين الله إلى مصر، حيث أحضر معه الكثير من الكتب وقد تركزت هذه الكتب بالخزائن الموجودة بالقصور وخزائن دار العلم والمارستان، كذلك وجد بعضها بالمساجد، وكان اهتمام الخلفاء الفاطميين بالكتب يفوق الوصف، لدرجة أنهم كانوا يقتنون من الكتاب الواحد العدد الكثير من النسخ، من ذلك ما يقال من أنه ذكر في أحد مجالس العزيز بالله كتاب العين للفراهيدي فأمر العزيز خازن دفاتره

1- عبد الغني عبد العاطي ، التعليم في مصر، ص25-26 .

2- عبد المنعم ماجد، التعليم عند الفاطميين، ص45-46.

فاخرج من إحدى خزائنه نيفا و ثلاثين نسخة من كتاب العين ومنها نسخة بخط يده كذلك كانت تشمل المكتبة على نسخ كثيرة من تاريخ الطبري منها نسخة بخطه ومائة نسخة من كتاب الجمهرة لابن دريد إلى جانب ذلك فقد كانت خزائن الكتب تحوي كتب السنة والشيعة والفقه على سائر المذاهب والنحو واللغة وكتب الحديث والتاريخ وسير الملوك والتنجيم والروحانيات والكيمياء وحتى كتب السحر والطلاسم وبلغ عدد خزائن الكتب الموجودة بالقصر الكبير أربعين خزانة[1] .

وكان الخلفاء يترددون على هذه الدور فذكر ابن الطوير أنه: " يجيء الخليفة راكبا ويدخل ويترجل على الدكة المنصوبة ويجلس عليها ويحضر إليه من يتولاها فيحضر إليه المصاحف بالخطوط المنسوبة وغير ذلك مما يقترحه من الكتب فأن عنّ له اخذ شيئاً منها للمطالعة ثم يعيده بعد ذلك وكانت هذه الخزانة تحتوي على عدة رفوف والرفوف مقطعة بحواجز وعلى كل حاجز باب متقن بمفصلات وقفل وفيها من أصناف الكتب ما يزيد على مائتي ألف كتاب من المجلدات فمنها في الفقه وسائر المذاهب والنحو واللغة ....." [2] .

وكانت هذه المكتبات تتعرض للنهب والسرقة مثل ما حصل لدار الحكمة "دار العلم" وكذلك ما حصل للمكتبة الفاطمية أثناء سقوط الدولة الفاطمية على يد صلاح الدين الأيوبي، وتم بيع معظم الكتب وحرق بعضها وأتلف الآخر، وكان ذلك خسارة كبيرة لكتب هذه المكتبة التي كانت نادرة في اختصاصاتها وتقنية صنعها مهما يكن الأمر، فقد كانت هذه المكتبات ثمرة للتقدم العلمي في مدينة القاهرة في هذا العصر وكانت رافدا للعلماء في تحصيلهم العلمي.

- مما سلف القول نخلص إلى النتائج التالية :

- إن مدينة حلب كانت حاضرة للدولة الزنكية ومدينة القاهرة حاضرة للخلافة الفاطمية فكلتا المدينتين كانتا تتمتعان بعناية خاصة من قبل حكامها ووجد فيهما البلاط

1- عبد الغني عبد العاطي، المرجع السابق ، ص27.
2- نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، تح، ايمن فؤاد سيد، ط1، الجمعية الألمانية للبحث العلمي، مطابع صادر، بيروت 1992م، ص126-127.

السلطاني وإن كانت القاهرة تفوقت على حلب كونها عاصمة خلافة لها مذهب خاص حاولت نشره بشتى الوسائل.

– كانت حلب قبل العصر الزنكي قاعدة الشيعة في بلاد الشام وكانت مصر معقل السنة قبل الحكم الفاطمي وقام الزنكيون بإنشاء المدارس وغيرها لمحاربة هذا المذهب وكذلك قام الفاطميون بنشر مذهبهم بمصر على حساب المذهب السني و أنشؤوا الأزهر ودار الحكمة وغيرها لمحاربة المذهب السني ونشر الفكر والمذهب الاسماعيلي.

– شجع الزنكيون في حلب وغيرها من مدنهم التعليم والعلماء وأوقفوا الأوقاف الوفيرة والغنية على المشتغلين بالعلم وكذلك على دور ومراكز التعليم والأمر نفسه كان عند الفاطميين الذين أوقفوا الأوقاف الوفيرة على العلم والمشتغلين به وعلى دور ومراكز التعليم.

– بفضل جهود الزنكيين والفاطميين أصبحت مدينتا حلب والقاهرة كعبة العلوم والمعارف وصارتا محجة العلماء والرحالة.

– وجود المدارس في مدينة حلب على المذاهب السنية، عكس مدينة القاهرة التي لم يوجد فيها مدارس مثل حلب ، ولكن استعاض الفاطميون عنها بدار العلم أو دار الحكمة.

– شغلت الجوامع والمساجد في مدينة القاهرة دورا أكبر من جوامع ومساجد مدينة حلب، حيث نجد جامع الأزهر بمثابة جامعة يدرس فيها جميع العلوم الدينية والدنيوية وأيضا جامع الحاكم بأمر الله وغيره كثير. بينما مدينة حلب فإن المدارس قد خففت على المساجد .